Titre : Voltaire
Source : Wikipédia arabe
Résumé : biographie et liste des oeuvres

فولتير

من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة

«إذا كان هذا هو أفضل العوالم الممكنة، فكيف هي الاخرى ؟»

فرانسوا ماري أرويه (François-Marie Arouet) المعروف باسم فولتير (Voltaire) من مواليد ٢١ نوفمبر ١٦٩٤ ووفيات ٣٠ مايو ١٧٧٨.

فولتير هو اسمه المستعار. كاتب فرنسي عاش في عصر التنوير، وهو أيضاً كاتب وفيلسوف ذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية الظريفة ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة.

وكان فولتير كاتباً غزير الإنتاج قام بكتابة أعمال في كل الأشكال الأدبية تقريباً، فقد كتب المسرحيات والشعر والروايات والمقالات والأعمال التاريخية والعلمية وأكثر من عشرين ألفاً من الخطابات، وكذلك أكثر من ألفين من الكتب والمنشورات.

وكان فولتير مدافعاً صريحاً عن الإصلاح الاجتماعي على الرغم من وجود قوانين الرقابة الصارمة والعقوبات القاسية التي كان يتم تطبيقها على كل من يقوم بخرق هذه القوانين. وباعتباره ممن برعوا في فن المجادلة والمناظرة الهجائية، فقد كان دائماً يحسن استغلال أعماله لانتقاد دوغما الكنيسة الكاثوليكية والمؤسسات الاجتماعية الفرنسية في عصره.

وكان فولتير واحداً من العديد من الشخصيات البارزة في عصر التنوير (إلى جانب كل من مونتسكيو وجون لوك وتوماس هوبز وجان جاك روسو) حيث تركت أعماله وأفكاره بصمتها الواضحة على مفكرين مهمين أثرت أفكارهم في الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية.

سنواته المبكرة في دنيا الأدب

ولد فرانسوا ماري أرويه في باريس، وكان الأخ الأصغر لخمسة من الأطفال والطفل الوحيد الذي عاش منهم. والده فرانسوا أرويه ولد في عام ١٦٥٠ أو عام ١٦٥١ وتوفي في يناير من عام ١٧٢٢. وكان يعمل موثقاً عاماً وموظفاً رسمياً صغيراً في وزارة المالية. وكانت والدته ماري مارجريت دومارت (١٦٦٠ - ١٧٠١)، تنحدر من أصول نبيلة تنتمي لمقاطعة بواتو. وتلقى فولتير تعليمه في إحدى مدارس اليسوعيين، وهي مدرسة Collège Louis-le-Grand (في الفترة ما بين عامي ١٧٠٤ و١٧١١) حيث تعلم اللغة اللاتينية، كما أصبح في فترة لاحقة من حياته بارعاً في اللغتين الإسبانية والانجليزية.

وعندما أنهى فولتير دراسته، كان قد عقد العزم على أن يصبح كاتباً بالرغم من أن والده كان يريد له أن يكون محامياً. ولكن فولتير الذي تظاهر بأنه يعمل في باريس في مهنة مساعد محام كان يقضي معظم وقته في كتابة الشعر الهجائي. وعندما اكتشف والده الأمر أرسله لدراسة القانون، ولكن هذه المرة في المقاطعات الفرنسية البعيدة عن العاصمة. ولكن فولتير استمر في كتابة المقالات والدراسات التاريخية التي لم توصف دائماً بالدقة على الرغم من أن معظمها كان دقيقاً بالفعل. وأكسبه الظرف الذي كانت شخصيته تتصف به شعبية في دوائر العائلات الأرستقراطية التي كان يختلط بها. واستطاع والد فولتير أن يحصل لابنه على وظيفة سكرتير السفير الفرنسي في الجمهورية الهولندية حيث وقع فولتير في هوى لاجئة فرنسية تدعى كاترين أوليمب دانوير. وأحبط والد فولتير محاولتهما للفرار معاً، تلك المحاولة التي ألحقت الخزي به، وتم إجبار فولتير على العودة إلى فرنسا مرةً أخرى.

ودرات معظم السنوات الأولى من حياة فولتير في فلك واحد وهو العاصمة الفرنسية باريس. ومنذ تلك السنوات المبكرة وما تلاها من سنوات عمره دخل فولتير في مشاكل مع السلطات بسبب هجومه المتحمس على الحكومة وعلى الكنيسة الكاثوليكية. وقد أدت به هذه الأنشطة إلى التعرض مرات عديدة للسجن والنفي. وفي عام ١٧١٧ وفي بداية العشرينات من عمر فولتير اشترك في المؤامرة المعروفة تاريخياً باسم Cellamare conspiracy والتي تزعمها الكاردينال جيوليو ألبروني ضد فيليب الثاني، دوق أورليون والذي كان وصياً على عرش الملك الصغير لويس الخامس عشر، ملك فرنسا (وكان الهدف من المؤامرة نقل الوصاية على العرش إلى ابن عم فيليب الثاني، وعم الملك الصغير، ملك إسبانيا فيليب الخامس). وبحجة كتابته لبعض الأشعار الهجائية عن الأرستقراطية، والتي كان منها ما تعرض فيه لشخص الوصي على العرش، تم الحكم على فولتير بالسجن في سجن الباستيل لمدة أحد عشر شهراً. وفي فترة سجنه في الباستيل، قام بكتابة أول أعماله المسرحية - Œdipe - (أوديب). وكان نجاح هذه المسرحية هو أول ركائز شهرته الأدبية.

أسباب اختياره لاسم فولتير

ويعتبر اسم «فولتير» الذي اتخذه الكاتب في عام ١٧١٨ كاسم قلمي مستعار وكاسم يستخدمه في حياته اليومية نوعاً من أنواع الجناس التصحيفي. ويعتبر الكثيرون أن اتخاذه لاسم «فولتير» الذي جاء بعد الفترة التي تم فيها احتجازه في سجن الباستيل علامة على انفصاله الرسمي عن عائلته وماضيه.

ويؤيد ريتشارد هولمز - المؤلف البريطاني والباحث في السير الذاتية لأعلام الحركة الرومانسية في بريطانيا وفرنسا - هذا الرأي عن مصدر اشتقاق الاسم، ولكنه يضيف أن كاتباً مثل فولتير قد اتخذ هذا الاسم أيضاً لما له من معنى ضمني يوحي بالسرعة والجرأة. هذا المعنى الذي يأتي من اقتران الاسم بكلمات مثل: voltige (الألعاب البهلوانية التي يتم أداؤها على أرجوحة البهلوان أو الحصان)، وvolte-face (الالتفاف لمواجهة الأعداء)، وvolatile (وهي الكلمة التي تشير أساساً إلى أحد المخلوقات المجنحة). ولم يكن لقب «Arouet» اسماً من أسماء النبلاء ليناسب شهرته التي كانت قد بدأت في التزايد خاصةً وأن للاسم صداه في كلمات مثل: rouer à (الجلد بالسوط) وroué (بمعنى الفاسق).

إنجلترا

وكان الاستعداد الشخصي - الذي ذاع بسببه صيت فولتير في عصرنا الحالي بين جمهور القراء - لحسن استخدام حضور البديهة النقدية التي كان يتمتع بها والتي كانت تتميز بالسرعة وحدة النظر والصرامة والطرافة هي ما جعلت من فولتير شخصية غير محبوبة بين الكثيرين من معاصريه، بما في ذلك الكثيرين

ممن ينتمون للطبقة الأرستقراطية الفرنسية. وكانت ردود فولتير اللاذعة مسؤولة عن فترة المنفى التي خرج بـمقتضاها من فرنسا ليستقر في إنجلترا.

وبعد أن قام فولتير بإهانة النبيل الفرنسي الشاب - كافلييه دي روهان - في وقت متأخر من عام ١٧٢٥، استطاعت أسرة روهان الأرستقراطية أن تحصل على lettre de cachet - وهو مرسوم موقع من ملك فرنسا (وكان الملك هو لويس الخامس عشر في عصر فولتير) يتضمن عقابا استباديا لأحد الأشخاص، ولا يـمكن استئناف الحكم الذي جاء فيه. وهو نوع من الوثائق التي كان يشتريها أفراد طبقة النبلاء الأثرياء للتخلص من أعدائهم غير المرغوب فيهم. واستخدمت أسرة روهان هذه الضمانة في بداية الأمر للزج بفولتير في سجن الباستيل، ثم التخلص منه عن طريق النفي خارج البلاد دون أن يتعرض لمحاكمة أو يسمح له بالدفاع عن نفسه. وتعتبر هذه الواقعة علامة بارزة في تاريخ بدء محاولات فولتير لتطوير نظام القضاء الفرنسي.

واستمر نفي فولتير إلى إنجلترا لمدة عامين، وتركت التجارب التي مر بها هناك أكبر الأثر في العديد من أفكاره. وتأثر فولتير الشاب بالنظام البريطاني الملكي الدستوري مقارنة بالنظام الفرنسي الملكي المطلق، وكذلك بدعم الدولة لحرية التعبير عن الرأي وحرية العقيدة. وكذلك، تأثر فولتير بالعديد من كتاب عصره الذين ينتمون للمدرسة الكلاسيكية الحديثة، وزاد اهتمامه بالأدب الإنجليزي الأقدم عمراً - خاصةً أعمال شكسبير - التي لم تكن قد نالت قدراً كبيراً من الشهرة في أوروبا القارية في ذلك الوقت. وبالرغم من إعلانه اختلافه مع قواعد المدرسة الكلاسيكية الحديثة، فقد رأى فولتير أن شكسبير يعتبر من النماذج التي يجب أن يقتدي بها الكتاب الفرنسيون لأن الدراما الفرنسية بالرغم من كونها تتميز بالجمال أكثر من الدراما الإنجليزية، فإنها تفتقر للحيوية على خشبة المسرح. وفي وقت لاحق - وبالرغم من أن تأثير أعمال شكسبير قد بدأ يتزايد على الأدب الفرنسي - فقد حاول فولتير أن يضع نـموذجاً يتعارض مع مسرحيات شكسبير يشجب فيه ما اعتبره همجية من جانبه.

وبعد قضائه لفترة قاربت الثلاث سنوات في المنفى، عاد فولتير إلى باريس وقام بنشر آرائه حول الموقف البريطاني من الحكومة ومن الأدب ومن العقيدة في صورة مجموعة من المقالات التي تأخذ شكل الخطابات بعنوان Lettres philosophiques sur les Anglais / Philosophical letters on the English ولأن فولتير قد اعتبر أن الملكية الدستورية البريطانية أكثر تقدماً واحتراماً لحقوق الإنسان من نظيرتها الفرنسية (خاصةً في الجانب الذي يتعلق بالتسامح الديني)، فقد لاقت هذه الخطابات اعتراضات كبيرة في فرنسا لدرجة القيام بإحراق النسخ الخاصة بهذا العمل وإجبار فولتير مرةً أخرى على مغادرة فرنسا.

وكانت وجهة فولتير التالية هي Château de Cirey الموجود على الحدود بين المقاطعتين الفرنسيتين شامباين ولورين. وأعاد فولتير تجديد المبنى على نفقته الخاصة، ومن هناك بدأ علاقته بالماركيزة دو شاتولييه، والمعروفة باسم جابرييل إيـميلي لو تونيلييه دي بريتويل (والتي أطلقت على نفسها اسم إيـميلي دو شاتولييه). وكان قصر سيراي ملكاً لزوج الماركيزة - الماركيز فلورنت-كلود دو شاتولييه - الذي كان أحياناً يزور زوجته وعشيقها في القصر الريفي. وكان لهذه العلاقة التي استمرت مدة خمسة عشر عاماً تأثيرها الفكري المهم على حياة فولتير. فقد جمع فولتير بـمساعدة الماركيزة واحداً وعشرين ألفاً من الكتب، ويعتبر هذا العدد عدداً هائلاً من الكتب في ذلك الوقت. وقد قاما معاً بدراسة هذه الكتب، وكذلك بالقيام بتجارب خاصة بالعلوم المعروفة باسم العلوم الطبيعية في المعمل الخاص بفولتير. وتضمنت تجارب فولتير محاولة منه لتحديد خصائص النار.

وبعد أن تعلم فولتير الدرس من مناوشاته السابقة مع السلطات، بدأ فولتير الأسلوب الذي استمر في استخدامه لبقية حياته بالابتعاد عن كل ما يسبب له الأذى الشخصي والتخلص من أية مسؤولية قد تعرضه للخطر. وواصل فولتير كتاباته، وقام بنشر بعض من مسرحياته مثل Mérope بالإضافة إلى بعض القصص القصيرة. ومرةً أخرى، يـمكن اعتبار السنوات التي قضاها فولتير في منفاه في بريطانيا مصدراً للإلهام من خلال تأثره القوي بأعمال إسحق نيوتن. وكان فولتير يؤمن بقوة بنظريات نيوتن، خاصةً تلك النظريات التي تتعلق بعلم البصريات، فقد أدى اكتشاف نيوتن لحقيقة أن الضوء الأبيض يتكون من كل ألوان الطيف إلى قيام فولتير في سيراي بالعديد من التجارب المتعلقة بهذا الاكتشاف. كذلك، أتى فولتير على ذكر قانون الجاذبية في أعماله، فقد ذكر قصة نيوتن مع التفاحة التي سقطت فوقه من شجرة في عمله المعروف بعنوان Essai sur la poésie épique أو Essay on Epic Poetry. وبالرغم من أن فولتير والماركيزة كانا شغوفين بالآراء الفلسفية الخاصة بعالم الرياضيات والفيلسوف الألماني جوتفريد لايبنز - الذي كان معاصراً لنيوتن وخصماً له - فقد احتفظ الاثنان بإيـمانهما بأفكار نيوتن وشكلت أعمال نيوتن وأفكاره ركيزة مهمة في نظرياتهما. وبالرغم من أن بعض الآراء كانت تعتقد أن الماركيزة تـميل إلى آراء لايبنز، فقد كتبت هي : «je newtonise» وهي العبارة التي تعني «أنا أعمل وفق أفكار نيوتن» أو «أنا أؤمن بأفكار نيوتن». وربـما يكون كتاب فولتير Eléments de la philosophie de Newton أو (The Elements of Newton›s Philosophies) عملاً مشتركاً بينه وبين الماركيزة، وكان الهدف منه وصف الفروع الأخرى من أفكار نيوتن التي انبهرا بها بـما في ذلك نظرية الجاذبية.

كذلك، قام فولتير والماركيزة بدراسة التاريخ، خاصة تاريخ الشعوب التي أسهمت في بناء الحضارة حتى الوقت الذي كانا يعيشان فيه. وكان المقال الثاني الذي كتبه فولتير باللغة الإنجليزية هو Essay upon the Civil Wars in France. وعندما عاد إلى فرنسا، كتب فولتير مقالاً يعرض السيرة الذاتية للملك تشارلز الثاني عشر، وهو المقال الذي يعتبر بداية لكتابات فولتير التي انتقد فيها الأديان المعروفة. وقد جعله ذلك المقال مؤرخاً للبلاط الملكي. كذلك، عمل فولتير مع الماركيزة على دراسة الفلسفة، خاصةً الفلسفة الميتافيزيقية - ذلك الفرع من الفلسفة الذي كان يتعامل مع الأمور بعيدة المنال والتي لا يـمكن إثباتها بطريقة مباشرة : كيفية الحياة وماهيتها، ووجود الله أو عدم وجوده، وما يشابه ذلك من موضوعات. وقام فولتير والماركيزة بتحليل الكتاب المقدس في محاولة لاكتشاف مدى صحة أفكاره في العصر الذي كانا يعيشان فيه. وانعكست آراء فولتير النقدية في إيـمانه بوجوب فصل الكنيسة عن الدولة وكذلك بحرية العقيدة، وهي الأفكار التي كوّنها بعد الفترة التي قضاها في انجترا.

وبعد وفاة الماركيزة - أثناء الولادة - في سبتمبر من عام ١٧٤٩، عاد فولتير لفترة قصيرة إلى باريس. وفي عام ١٧٥١، انتقل إلى مدينة بوتسدام ليعيش إلى جوار فريدريك الأكبر - ملك بروسيا - الذي كان صديقاً مقرباً منه ومعجباً بأدبه. وقد قام الملك بدعوته بشكل متكرر إلى قصره، ثم منحه مرتباً سنوياً يبلغ عشرين ألف فرنك. وبالرغم من أن أمور حياة فولتير كانت تسير على ما يرام في البداية - ففي عام ١٧٥٢ كتب فولتير قصته القصيرة المعروفة بعنوان Micromégas، والتي ربـما تكون أول عمل من أعمال الخيال العلمي يصوّر سفراء من كوكب آخر يتعرفون على حماقات الجنس البشري - فقد بدأت علاقته بفريدريك الأكبر في التدهور وواجهتها بعض الصعوبات. فقد وجد فولتير نفسه أمام دعوة قضائية تم رفعها ضده وأمام نزاع مع الأديب والفيلسوف وعالم الرياضيات الفرنسي موبرتوي - الذي كان يشغل منصب رئيس أكاديـمية برلين للعلوم - فكتب مقالته الهجائية : Diatribe du docteur Akakia التي سخر فيها من موبرتوي. ولقد أدى هذا الأمر إلى

غضب الملك فريدريك الذي أمر بإحراق كل نسخ العمل وإلقاء القبض على فولتير أثناء وجوده في نزل كان يقيم فيه في طريق عودته إلى وطنه.

جينيف وفيورني

وتوجه فولتير صوب باريس، ولكن لويس الخامس عشر منعه من دخول المدينة. لذلك، قصد جينيف بدلاً منها واشترى بالقرب منها ضيعة كبيرة هي Les Délices. وبالرغم من أن المدينة قد استقبلته في بادئ الأمر بالحرية، فقد دفعه القانون المطبق في جينيف على غير رغبته - ذلك القانون الذي كان يحظر الأداء المسرحي وكذلك النشر لقصيدة فولتير الهجائية المعروفة باسم The Maid of Orleans - إلى الانتقال في نهاية عام ١٧٥٨ إلى خارج جينيف وعبور الحدود الفرنسية حتى وصل إلى فيورني التي اشترى فيها ضيعة أكبر. وألهمته هذه الظروف كتابة روايته القصيرة Candide, ou l'Optimisme. ويبقى هذا العمل الهجائي الذي انتقد فيه فولتير فلسفة لايبنز التي تؤمن بالحتمية المتفائلة أكثر الأعمال التي اشتهر بها. وهكذا، استقر فولتير في فيورني معظم السنوات العشرين المتبقية من حياته ليستضيف بين الحين والآخر ضيوفاً بارزين من أمثال جيمس بوزويل وجيوفاني كازانوفا وإدوارد جيبون. وفي عام ١٧٦٤، نشر فولتير أكثر أعماله الفلسفية أهمية والتي انتقد فيه الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وغيرها من المؤسسات وهو Dictionnaire Philosophique، ذلك العمل الذي تضمن سلسلة من المقالات التي كتب معظمها أصلاً من أجل وضعها في الموسوعة العامة الفرنسية التي تم نشرها في ذلك الوقت والمعروفة باسم Encyclopédie.

ومنذ عام ١٧٦٢، بدأ فولتير دفاعه عمن يتعرضون للاضطهاد دون وجه حق، وربـما تكون قضية جان كالاس أكثر القضايا التي تبناها شهرة. فقد تعرض هذا التاجر الذي ينتمي لكنيسة الإصلاح الفرنسية البروتستانتية إلى التعذيب حتى الموت في عام ١٧٦٣ حيث تم اتهامه بقتل ابنه عندما أراد أن يتحول إلى المذهب الكاثوليكي. وتـمت مصادرة أملاكه ونزع حضانة من تبقى من أبنائه من أرملته وإجبارهم على الدخول إلى أحد الأديرة. ونجح فولتير في عام ١٧٦٥ - وكان يرى في هذه القضية دليلاً واضحاً على الاضطهاد الديني - في إسقاط هذه التهمة عن كالاس.

موت فولتير ودفنه

وفي فبراير من عام ١٧٧٨، عاد فولتير للمرة الأولى خلال العشرين عاماً الأخيرة إلى باريس - مع آخرين - ليشهد افتتاح آخر أعماله التراجيدية وهي مسرحية Irene. وكان السفر الذي استغرق خمسة أيام شاقاً للغاية على العجوز الذي كان يناهز الثالثة والثمانين من عمره. واعتقد فولتير أنه على شفا الموت، فكتب في الثامن والعشرين من فبراير : «أنا الآن على شفا الموت وأنا أعبد الله، وأحب أصدقائي، ولا أكره أعدائي، وأمقت الخرافات.» وبالرغم من ذلك، فقد تـماثل للشفاء وشهد في شهر مارس عرضاً لمسرحيته Irene تم استقباله خلاله استقبال البطل الذي عاد أخيراً إلى وطنه. ولكن، سرعان ما مرض فولتير ثانيةً وتوفي بعد أيام في الثلاثين من مارس. وفي لحظات احتضاره على فراش الموت، عندما طلب منه القسيس أن يتبرأ من الشيطان ويعود إلى إيـمانه بالله، يقال أن إجابته كانت: «لا وقت لدي الآن لأكتسب المزيد من العداوات.» ويقال أيضاً إن كلماته الأخيرة كانت: «كرمي لله، دعني أرقد في سلام.»

وبسبب انتقاده المعروف للكنيسة الذي رفض أن يتراجع عنه قبل وفاته، لم يتم السماح بدفن فولتير وفقاً للشعائر الكاثوليكية. وعلى الرغم من ذلك، فقد تـمكن أصدقاؤه من دفن جثمانه سراً في إحدى الكنائس الكبيرة في مقاطعة شامباين المعروفة باسم Scellières قبل أن يتم الإعلان رسمياً عن قرار منع الدفن. وقد تم تحنيط قلبه ومخه بشكل منفصل. وفي يوليو من عام ١٧٩١، اعتبرته الجمعية الوطنية الفرنسية (Assemblée nationale) واحداً ممن بشروا باندلاع الثورة الفرنسية، وتـمت استعادة رفاته للاحتفاظ بها في البانثيون - مقبرة عظماء الأمة - تكريـماً له. وتم الاحتفال بنقل رفات فولتير احتفالاً ضخماً بوجود أوركسترا كاملة، وتضمنت المقطوعات الموسيقية التي تم عزفها مقطوعة للمؤلف الموسيقي أندريه جريتري - البلجيكي الأصل والذي حصل على الجنسية الفرنسية بعد ذلك - تم تأليفها خصيصاً احتفالاً بهذه المناسبة، تلك المقطوعة التي تم تخصيص جزء منها لآلة النفخ المعروفة باسم «tuba curva». ويعود أصل هذه الآلة إلى العصر الروماني حيث كانت تعرف باسم cornu، وكانت هذه الآلة قد تـمت إعادة استخدامها في ذلك الوقت تحت هذا الاسم الجديد.

قبر فولتير في البانثيون في باريس.

وهناك إحدى القصص غير الحقيقية التي تتردد باستمرار عن أن ما تبقى من رفات فولتير قد تعرض للسرقة من قبل أحد المتعصبين الدينيين في عام ١٨١٤ أو عام ١٨٢١ أثناء عملية الترميم التي تـمت لمقبرة البانثيون وإلقائه في كومة من أكوام القمامة.

الشعر

في سنوات عمره المبكرة، ظهرت موهبة فولتير الشعرية وكانت أول أعماله المنشورة من الشعر. وكتب فولتير قصيدتين طويلتين، وهما Henriade و The Maid of Orleans بالإضافة إلى العديد من المقطوعات الشعرية الأخرى الأصغر حجماً.

وكانت قصيدة The Henriade مكتوبة بشكل يحاكي أعمال فيرجيل مستخدماً في كل مقطع يتكون من بيتين ذلك النمط من الأوزان الشعرية المعروف باسم Alexandrine والذي أدخل عليه بعض التعديلات التي جعلته مملاً ولك من أجل أن يناسب الصياغة الدرامية للعمل. وافتقرت القصيدة التي كتبها فولتير إلى الحماس للموضوع وفهمه، وهما الأمران اللذان أثرا سلباً على جودة القصيدة. أما القصيدة المعروفة باسم La Pucelle فهي - على الجانب الآخر - عمل محاكاة ساخر هاجم فيه فولتير بعض المفاهيم الدينية والتاريخية. وتعتبر أعمال فولتير الأخرى - ثانوية الأهمية - بوجه عام أفضل من هذين العملين من الناحية الفنية.

النثر

تنتمي الكثير من أعمال فولتير التي صاغها على هيئة النثر والقصص النثرية الخيالية - والتي جاءت عادةً على هيئة كتيبات - إلى فن الجدل والمناظرة. فقد كانت قصته المعروفة باسم Candide تهاجم التفاؤل الديني والفلسفي بينما كان عمله المعروف باسم L'Homme aux quarante ecus يهاجم بعض الأساليب الاجتماعية والسياسية التي كانت سائدة في ذلك العصر. أما رواية فولتير المعروفة باسم Zadig وغيرها من أعماله، فقد هاجم فيها الأفكار التي يتم تناقلها عبر الأجيال والخاصة بالقيم والمبادئ التي تقوم عليها العقيدة الأرثوذكسية بينما كان هدفه من كتابة بعض هذه الأعمال هو السخرية من الكتاب المقدس . وفي هذه الأعمال، يتضح أسلوب فولتير الساخر - البعيد عن المبالغة - ويتضح بوجه خاص التحفظ والبساطة في المعالجة اللفظية لهذه الأعمال. ويـمكن اعتبار أن روايته القصيرة Candide بوجه خاص هي أفضل النماذج على أسلوبه الأدبي. ولفولتير الفضل - مثلما هو الحال مع جوناثان سويفت - في تـمهيد الطريق في دنيا الأدب لاستخدام السخرية الفلسفية في أدب الخيال العلمي خاصةً في قصته القصيرة المعروفة باسم Micromégas .

وتشترك كتابات فولتير الأدبية مع أعماله الأخرى في استخدامها بوجه عام لأسلوب النقد بالإضافة إلى التنوع في الموضوعات التي يتناولها. فقد كان يسبق كل أعماله الأساسية - سواءً التي كتبها في قالب شعري أو نثري - تـمهيد من نوع أو آخر يـمكن اعتباره نـموذجاً لنبرة السخرية اللاذعة التي تـميز أعماله والتي

لم تـمنعه من استخدام تلك اللغة العادية المستخدمة في أحاديث الناس. وفي عدد كبير من الكتيبات والكتابات التي لا تتميز بخصائص معينة تفردها عن غيرها من الكتابات، تظهر مهارات فولتير في الكتابة الصحفية. وفي مجال النقد الأدبي الصرف، يمكن اعتبار أن عمله الرئيسي في هذا المجال هو Commentaire sur Corneille بالرغم من أنه قد قام بكتابة العديد من الأعمال الأخرى المشابهة له أحياناً (كما هو الحال في عمله المعروف بعنوان Life and notices of Molière) بصورة مستقلة وأحياناً أخرى كجزء من عمله المعروف بعنوان Siècles .

وتتكرر كلمة «l'infâme» وكذلك تعبير écrasez l'infâme أو «سحق العار الذي يلحق بالأشخاص». في أعمال فولتير، وخاصةً في خطاباته الخاصة. وتشير العبارة إلى تلك الإساءات التي تلحق بالناس من أفراد الأسرة المالكة ورجال الدين الذين كان فولتير يراهم في كل مكان من حوله، وكذلك إلى الخرافات وعدم التسامح اللذين زرعهما رجال الدين في نفوس الناس. وقد شعر فولتير بهذه المؤثرات في العديد من الأحداث التي مرت في حياته مثل المنفى ومصادرة كتبه والمعاناة البشعة التي مر بها كل من كالاس ولابري.

وأشهر التعليقات التي يتم تناقلها عن فولتير مشكوك في صحته. فالعبارة التالية قد نسبت بشكل خاطئ إلى فولتير «قد أختلف معك في الرأي ولكنني على استعداد أن أموت دفاعاً عن رأيك.» ولم يكن فولتير هو من قال هذه الكلمات، ولكن قائلتها هي إيفلين بياتريس هول التي كانت تكتب تحت اسم مستعار وهو S. G. Tallentyre وذلك في عام ١٩٠٦ في كتاب السيرة الذاتية الذي قامت بإصداره تحت عنوان The Friends of Voltaire. وقد قصدت هول بعبارتها أن تلخص بكلماتها موقف فولتير تجاه كلود أدريان هلفتيوس وكتابه الذي أثار جدلاً كبيراً وهو De l'esprit ولكن نسب هذا التعبير الذي صاغته بكلماتها بشكل خاطئ إلى فولتير. وعبر ما قالته عن مضمون موقف فولتير من هلفتيوس. ويقال أنها قد استوحت كلماتها من أحد التعليقات التي تم العثور عليها في عام ١٧٧٠ في أحد خطابات فولتير إلى Abbot le Roche والتي يروى أنه قد قال فيها : «أنا أمقت ما تكتب، ولكنني على استعداد تام لأن أضحي بحياتي من أجل أن تستمر في الكتابة.» وبالرغم من ذلك، فإن الدارسين يعتقدون في وجود نوع من أنواع سوء الفهم لأنه لا يبدو أن مثل هذا الخطاب يحتوي على أي تعليق من هذا النوع.

ويعتبر أكبر الأعمال الفلسفية التي أنتجها فولتير هو Dictionnaire philosophique الذي يحتوي على مقالات قدمها فولتير للنشر في Encyclopédie وكذلك العديد من أعماله الأخرى ثانوية الأهمية. وقد تم تخصيصها لانتقاد المعاهد السياسية الفرنسية، وأعداء فولتير الشخصيين، والكتاب المقدس، والكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

ومن بين العديد من الأهداف الأخرى، انتقد فولتير السياسة الاستعمارية الفرنسية في أمريكا الشمالية، وعمل على الحط من قدر المنطقة الشاسعة المعروفة باسم ولاية فرنسا الجديدة بوصفها مساحة ضئيلة تكسوها الثلوج أو («quelques arpents de neige»).

رسائل فولتير

كذلك، كتب فولتير عدداً هائلاً من المراسلات الخاصة في الفترة التي عاشها تبلغ إجمالاً أكثر من عشرين ألفاً من الرسائل. وتظهر شخصية فولتير في الخطابات التي كتبها. ففيها تظهر الحيوية التي يتمتع بها وتعدد الجوانب والبراعات في شخصيته وقدرته على التملق التي لا يتردد في استخدامها وسخريته قاسية القلب ومقدرته المهنية المجردة من المبادئ الخلقية وتصميمه على الخداع والتحريف في أي اتجاه يرى فيه مصلحته أو يستطيع به الهروب من أعدائه.

فلسفة فولتير

الدين

بالرغم من الاعتقاد الخاطئ للبعض في أن فولتير كان ملحداً، فقد كان في حقيقة الأمر يشترك في الأنشطة الدينية كما قام ببناء كنيسة صغيرة في ضيعته التي اشتراها في فيورني. ويكمن السبب الرئيسي في هذا الاعتقاد الخاطئ في أحد الأبيات التي وردت في قصيدة له (وكانت القصيدة بعنوان «Epistle to the author of the book, The Three Impostors») (رسالة إلى مؤلف الكتاب: المدّعين الثلاثة). ويـمكن ترجمة البيت إلى: «إذا كان الله غير موجود، فسيكون من الضروري أن نختلق نحن واحداً.» وتظهر القصيدة الكاملة التي ينتمي إليها هذا البيت انتقاده الذي كان ينصب بدرجة أكبر على تصرفات المؤسسات الدينية أكثر منه على مفهوم الدين في حد ذاته.

وكحال الكثيرين من الشخصيات البارزة التي عاشت أثناء عصر التنوير الأوروبي، اعتبر فولتير نفسه مؤمناً بـمذهب الربوبية (pantéisme). فقد كان لا يعتقد في أن الإيـمان المطلق بالله يحتاج إلى الاستناد على أي نص ديني محدد أو فردي أو على أي تعاليم تأتي عن طريق الوحي. وفي حقيقة الأمر، كان كل تركيز فولتير ينصب على فكرة أن الكون قائم على العقل واحترام الطبيعة، وهي الفكرة التي عكست الرأي المعاصر له والذي كان يعتقد في وحدة الوجود. وقد نالت هذه الفكرة حظاً وافراً من الرواج بين الناس خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وكتب لها الاستمرار في الوجود في شكل من أشكال الربوبية المعروفة في عصرنا الحالي باسم «Voltairean Pantheism» «وحدة الوجود من منظور فولتير.»

وكتب فولتير متسائلاً : «ما الإيـمان؟» فهل هو أن نؤمن بـما نستطيع أن نراه واضحاً أمام أعيننا ؟ لا، فمن الواضح تـماماً لعقلي أنه من الضروري وجود كيان خالد رفيع المنزلة عاقل ذكي. فالأمر عندي لا علاقة له بالإيـمان، ولكنه مرتبط بالعقل.»

وفيما يتعلق بالنصوص الدينية، قام أحد مؤلفي القرن الواحد والعشرين بتلخيص رأي فولتير في الكتاب المقدس عندما قال إنه أولاً مرجع قانوني و/أو أخلاقي عفا عليه الزمن. وثانياً، هو بوجه عام نوع من أنواع الاستعارة اللغوية، ولكنها استعارة تحمل في طياتها القدرة على أن تعلمنا دروساً مفيدة. وثالثاً، هو عمل من صنع الإنسان، وليس هبة إلهية. ولكن هذه المعتقدات بم تـمنع فولتير من ممارسة الطقوس الدينية بالرغم من أنها قد أكسبته سوء السمعة في أوساط المنتمين إلى الكنيسة الكاثوليكية. وجدير بالذكر أن فولتير كان يشكل - بحق - مصدراً للإزعاج للعديد من المؤمنين، وأن أفكاره كانت معروفة للجميع وفي كل البلاد. فقد كتب فولفجانج أماديوس موتسارت إلى والده خطاباً في السنة التي توفي فيها فولتير قال فيه: «أخيراً رحل عن العالم أكبر الأوغاد.»

وانتقد فولتير رسول الإسلام محمد بن عبد الله. فمسرحيته المعروفة باسم Fanaticism, or Mahomet قام بكتابتها «ليهاجم مؤسس العقيدة الزائفة والهمجية». كذلك، وصف فولتير الرسول محمد بأنه «كاذب»، ولكن آراء فولتير عن الإسلام في الخطاب الذي قام بإرساله إلى البابا بنديكتوس الرابع عشر والذي قام بكتابته في باريس في ١٧ أغسطس من عام ١٧٤٥ كانت أكثر إيجابية، فقد وصف فولتير الرسول محمد بأنه رسول «ديانة تتسم بالحكمة والصرامة والعفاف والإنسانية». كما تحدث عنه كالتالي: «واضع شريعة المسلمين رجل رهيب ذو سطوة استطاع أن يفرض تعاليمه على أتباعه بالاستبسال في القتال وبحد السيف». وقال مخاطباً رجال الدين في الكنسية: «لقد قام الرسول بأعظم دور يـمكن للإنسان أن يقوم به على الأرض وإن أقل ما يُقال عن محمد أنه قد جاء بكتاب وجاهد، والإسلام لم يتغير قط أما أنتم ورجال دينكم فقد غيرتم

دينكم عشرين مرة».

ومن تلك الأعمال التي قام فولتير بترجمتها والتي تظهر فيها أفكار الكونفشيوسية وتلك المبادئ التي تنادي بالتقيد الحرفي أو المفرط بالقانون أو بشرع ديني أو أخلاقي، استقى معلوماته عن المفاهيم الصينية في مجالي السياسة والفلسفة (والتي قامت على مبادئ عقلية)، وقد قام فولتير بذلك بغرض المقارنة بعين ناقدة بينها وبين المؤسسات الدينية الأوروبية وكذلك النظام الارستقراطي الموروث.

وهناك قصة لم يتم التأكد من صحتها تتعلق بشراء Geneva Bible Society لمنزل فولتير الذي يقع في فيورني لاستخدامه في طباعة الكتاب المقدس. ولكن، يبدو أن مصدر هذه القصة هو ذلك التقرير السنوي - الذي تـمت إساءة فهمه - الصادر في عام ١٨٤٩ عن American Bible Society (وهي مجموعة تأسست عام ١٨١٦ بهدف نشر وتوزيع وترجمة الكتاب المقدس).وتـملك وزارة الثقافة الفرنسية الآن قصر فولتير وتتولى إدارته.

الماسونية

دخل فولتير في عضوية المنظمة الماسونية قبل وفاته بشهر واحد. ففي الرابع من أبريل من عام ١٧٧٨، ذهب فولتير برفقة بنيامين فرانكلين إلى المحفل الماسوني الشهير La Loge des Neuf Soeurs في باريس بفرنسا وأصبح Entered Apprentice Freemason (مبتدئ منضم إلى الماسونية). وربـما يكون قد أقدم على هذه الخطوة لإرضاء فرانكلين فقط.

الميراث الذي خلفه فولتير

كان فولتير يرى أن البرجوازيين الفرنسيين قليلو العدد ولا تأثير لهم في الحياة الفرنسية. أما الطبقة الأرستقراطية فقد كان يعتقد أنها طبقة طفيلية فاسدة. وكان فولتير يرى أن عامة الشعب يتميزون بالجهل ويؤمنون بالخرافات بينما اعتبر الكنيسة قوة راكدة تفيد فقط في موازنة القوى الأخرى حيث أن «الضريبة الدينية» أو ضريبة العشر قد ساعدت في دعم الثوريين. وكان فولتير لا يثق في الديـمقراطية لأنه رأى إنها تعمل على الترويج لحماقات العامة والدهماء. وبالنسبة لفولتير، يكون الملك المستنير أو الشخص المستنير المنفرد بالحكم - والذي يسمع لنصح الفلاسفة (الفيلسوف) من أمثال فولتير - هو الوحيد القادر على أن يغير في مجريات الأمور لأنه من المصلحة المنطقية للملك أن يقوم بدفع القوة والثروة التي يتمتع بهما رعاياه وأبناء مملكته إلى الاتجاه الأفضل. وبصورة أساسية، كان فولتير يعتقد أن الاستبداد المستنير هو مفتاح التقدم والتغيير.

وتعتبر أكثر الأعمال الباقية في ذاكرة التاريخ لفولتير هي روايته القصيرة كانديد أو التفاؤل التي كتبها في عام ١٧٥٩ بهدف الانتقاد الساخر لفلسفة التفاؤل.

وقد قامت فرنسا بتخليد ذكرى فولتير وتكريـمه كواحد من الرواد الشجعان لفن الجدل والمناظرة قام بالدفاع المستمر عن الحقوق المدنية والحق في الحصول على محاكمة عادلة وحرية العقيدة. كذلك استنكر فولتير بشدة النفاق والظلم الذين كان يتصف بهما الحكم الأرستقراطي . وكان الحكم الأرستقراطي يفرض ميزاناً غير عادل فيما يتعلق بالقوى وبالضرائب بين السلطة (الطبقة الاجتماعية) الأولى المتمثلة في رجال الدين، والسلطة الثانية المتمثلة في طبقة النبلاء، والسلطة الثالثة المتمثلة في العامة وأفراد الطبقة الوسطى، والذين كانوا يرزحون تحت وطأة معظم الضرائب التي يتم فرضها.

ولقد قام البعض من زملاء فولتير اللاحقين بالحط من قدره. فقد كان الكاتب الاسكتلندي الفيكتوري - توماس كارلايل - يعتقد أنه بالرغم من عدم وجود من يستطيع أن يباري فولتير في موهبته في الصياغة الأدبية، فإن أكثر أعماله إتقاناً لم تكن ذات قيمة من ناحية المضمون وإنه لم يستطع أبداً أن يبدع فكرة خاصة به تنبع من داخله.

وبينما كان فولتير يأتي على ذكر الصين ومملكة سيام كنماذج للحضارات الذكية غير الأوروبية وينتقد بقسوة العبودية كان يؤمن أن اليهود «شعب جاهل وهمجي.»

وقد تم إطلاق اسم فيورني-فولتير على بلدة فيورني التي قضى فيها فولتير العشرين عاماً الأخيرة من حياته تخليداً لذكرى أشهر من عاش فيها. أماقصره الريفي فقد تحول الآن إلى متحف.

وتم الحفاظ على المكتبة الخاصة بالأديب فولتير سليمة تـماماً في المكتبة الوطنية الروسية الموجودة في مدينة سان بطرسبرج في روسيا.

وفي عام ١٩١٦، وفي مدينة زيورخ قامت جماعة المسرح والأداء المسرحي - والتي شكلت فيما بعد بدايات الحركة الطليعية المعروفة باسم دادا (الدادانية) (حركة ثقافية انطلقت من زيورخ أثناء الحرب العالمية الأولى من أجل معاداة الحرب) - بإطلاق اسم Cabaret Voltaire على المسرح الذين يقدمون عروضهم فوق خشبته. وفي السنوات الأخيرة من القرن العشرين، قامت إحدى الفرق الموسيقية بإطلاق اسم ذلك المسرح على فرقتهم.

وتلعب شخصية فولتير دوراً مهماً في سلسلة مكونة من أربعة روايات متعاقبة تاريخياً بعنوان The Age of Unreason كتبها مؤلف قصص الخيال العلمي والفانتازيا الأمريكي Gregory Keyes

الأعمال الرئيسية

مجموعة من المقالات التي صاغها فولتير على هيئة خطابات وهي Lettres philosophiques sur les Anglais وقد تم نشرها في عام ١٧٣٣، وتم تعديلها تحت اسم Letters on the English (حوالي عام ١٧٧٨)

العمل الشعري Le Mondain (الذي كتبه في عام ١٧٣٦)

العمل الشعري Sept Discours en Vers sur l'Homme (وكتبه فولتير في عام ١٧٣٨)

رواية Zadig (وقد قام فولتير بكتابتها في عام ١٧٤٧)

القصة القصيرة Micromégas (والتي كتبها فولتير في عام ١٧٥٢)

الرواية القصيرة Candide (التي قام فولتير بكتابتها في عام ١٧٥٩)

حكاية فلسفية بعنوان Ce qui plaît aux dames (قام فولتير بكتابتها في عام ١٧٦٤)

مجموعة المقالات التي تحمل عنوان Dictionnaire philosophique (والتي قام فولتير بكتابتها في عام ١٧٦٤)

حكاية قصيرة هجائية بعنوان L'Ingénu (وقد قام فولتير بكتابتها في عام ١٧٦٧)

الحكاية الفلسفية La Princesse de Babylone (التي قام فولتير بتأليفها في عام ١٧٦٨)

رسالة منظومة شعراً بعنوان Épître à l'Auteur du Livre des Trois Imposteurs (والتي قام فولتير بتأليفها في عام ١٧٧٠)

مقالة الخطر الفظيع للمطالعة ، ١٧٦٥.

المسرحيات

كتب فولتير عدداً من المسرحيات يتراوح ما بين خمسين وستين مسرحية، اشتملت على عدد من المسرحيات التي لم ينه كتابتها. ومن بين هذه المسرحيات :

Œdipe (التي قام بتأليفها في عام ١٧١٨)

Zaïre (التي قام بتأليفها في عام ١٧٣٢)

Eriphile (التي قام بتأليفها في عام ١٧٣٢)

Irène

Socrates

Mahomet

Mérope

Nanine

The Orphan of China (وقدمها فولتير في عام ١٧٥٥)[٢٨]

الأعمال التاريخية

كتاب History of Charles XII, King of Sweden (والتي قام فولتير بكتابته في عام ١٧٣١)

كتاب The Age of Louis XIV (الذي قام فولتير بتأليفه في عام ١٧٥١)

كتاب The Age of Louis XV (الذي قام فولتير بتأليفه في الفترة ما بين عامي ١٧٦٤ و١٧٥٢)

كتاب Annals of the Empire - Charlemagne, A.D ٧٤٢ - Henry VII ١٣١٣ الجزء الأول الذي قام بتأليفه في عام ١٧٥٤)

كتاب Annals of the Empire - Louis of Bavaria, ١٣١٥ to Ferdinand II ١٦٣١ الجزء الثاني (وقد قام فولتير بتأليفه في عام ١٧٥٤)

كتاب History of the Russian Empire Under Peter the Great وقد صدر الجزء الأول من هذا الكتاب في عام ١٧٥٩ بينما صدر الجزء الثاني منه في عام ١٧٦٣)